

ملتقى الإمام القرضاوي

مع الأصحاب و التلاميذ

منهج الإمام القرضاوي في سِيَر الأعلام والمراثي

أ. محمد زيدان

الدوحة - قطر - فندق الريدزكالرتون
٢٩-٦/٢-١٤٢٨/٧/٢هـ ـ ١٤-٢٠٠٧/٧/١٦م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين؛ حمدا كثيرا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، جلَّ ذكره، وإليه يُرجع الأمر كله، علانيته وسره، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه وهو على كل شيء قدير؛ وأشهد أن نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمدا عبد الله ورسوله، الهادي البشير، والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار وسلَّم تسليما كثيرا. وبعد..

فمن فضل الله على أمة الإسلام أن جعلها أمة معطاءة، زاخرة بالكفاءات، ثرية بالعطاءات، مليئة بالقدرات؛ ففي الأمة –بحمد لله– من هم مؤهلون لحمل مشعل الهداية، وراية العلم والدعوة، وسد الثغرة، وينهض بالمسئولية العلمية والدعوية، ونحسب أن منهم بل على رأسهم الآن شيخنا وعلامة الأمة الإمام القرضاوي، حفظه الله ورعاه وأتم عليه الصحة والعافية ونفع به الأمة.

ومن سنن الله عز وجل في خلقه أن كتب عليهم الفناء وكتب علن نفسه البقاء، وجعل الموت مصيبة من المصائب، وبلية البلايا، ويزداد عظمها إذا كان المفقود من العلماء والدعاة؛ فموت هؤلاء خطب جلل وهو من علامات الساعة؛ لأن بموتهم تطوى صفحات لامعة، وسجلات ناصعة، من خصال الخير المتكاثرة، فرحيل العلماء ثلمة لا تسد، ومصيبة لا تحد، وفجيعة لا تنسى؛ وإن من أعظم أسباب حفظ الدين حفظه بالرجال المخلصين، والعلماء العاملين، فوجودهم في الأمة حفظ لدينها، وصون لعزتها وكرامتها، وذود عن حياضها، فإنهم الحصن الحصين، والسياج المتين، الذي يحول بين هذا الدين وأعدائه المتربصين.

وإن أعظم أنواع الفقد على النفوس وقعا، وأشده على الأمة لوعة وأثرا فقد العلماء الربانيين، والأئمة المصلحين؛ لأن للعلماء مكانة عظمى، ومنزلة كبرى، فهم ورثة الأنبياء، وخلفاء الرسل، والأمناء على ميراث النبوة، بهم حُفظ الدين وبه حُفظوا، وبهم رُفعت منارات الملة وبها رُفِعُوا: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة: ١١].

فالعالم للأمة بدرها الساري، وسلسالها الجاري، لا سيما أئمة الدين وعلماء الشريعة؛ ولذلك كان فقدهم من أعظم الرزايا، والبلية بموتهم من أعظم البلايا، وأنَّى للمدلجين في دياجير الظلمات أن يهتدوا إذا انطمست النجوم المضيئة.

صح عند أحمد وغيره من حديث أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما مثل العلماء كمثل النجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة).

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما؛ اتخذ الناس رءوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا).

ويُوضح ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تظهر الفتن، ويكثر الهرج، ويقبض العلم) فسمعه عمر فأثره عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (إن قبض العلم ليس شيئا يُنتزع من صدور الرجال، ولكنه فناء العلماء).

ولقد أخبر حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) [الرعد: ٤١]
قال: (بموت علمائها وفقهائها).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه ذهاب أهله).

وقال الحسن رحمه الله: (موت العالم ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار).

وقيل لسعيد بن جبير رحمه الله: (ما علامة الساعة وهلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم).

ولما مات زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من سرَّه أن ينظر كيف ذهاب العلم فهكذا ذهابه)، وقال رضي الله عنه: (لا يزال عالم

يموت وأثر للحق يدرس حتى يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم؛ فيعمل النــاس بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل).

وفي الأثر عن علي رضي الله عنه قال: (إذا مات العالم ثلم في الإســلام ثلمــة لا يسدها إلا خلف منه).

وقد رُزئت أمتنا الإسلامية في هذه الآونة الأخيــرة بفقــد كوكبــة مــن علمائهــا وفضلائها، ووفاة نخبة من فقهائها ونبلائها، فما إن كفكفت الأمة دموعها، ولملمت ضلوعها على فقد طودٍ منهم، حتى رُزئت بفقد آخر فــي انفــراطٍ لعقــد متلألــئ وضاء، وتناثر لحباته المتناسقة، وبموت هؤلاء الجهابذة تُطوى صفحات لامعــة، وسجلات ناصعة، من خصال الخير المتكاثرة؛ فليست الرزية على الأمة بفقد مال، أو بموت شاة أو بعير، ولكن الرزية أن يفقد عالم يموت بموته جمعٌ غفير، وبــشر كثير؛ فموت العالم ليس موت شخص واحد، ولكنه بنيان قوم يتهدم، وحضارة أمة تتهاوى.

فغياب العلماء الراسخين يخلي الــساحة لتــصدُّر الرويبــضة، ونطــق أنــصاف المتعلمين، وما تموج به الساحة من فوضى الاجتهاد عند بعض المتعــالمين، فــي أطروحات عرجاء، ومداولات ممجوجة، وكارثة الفوضى في الإفتاء، والقول على الله بغير علم، والتلاعب بالحلال والحرام حسب الأهواء، وأمام هذا الطوفان الهائج من العولمة والتغريب، فالأمة أحوج ما تكون إلى وقفات حازمة لوضع الــضوابط الشرعية في المجالات كافة، حتى تعبر سفينة الأمة بأمانٍ في بحر الفتن المتلاطم، وسير المحن المتفاقم، إلى شاطئ السلامة وبر النجاة، حتى يــسد الطريــق أمــام المصطادين في الماء العكر.

وإنَّ من حسن العزاء عند فقد العلماء: أن دين الله محفوظ، وشريعته باقية، وخيره يفيض ولا يغيض، فأعلام الديانة مرفوعة بحمد الله: (ولا تزال طائفة من أمتي – أمة محمد صلى الله عليه وسلم– على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خــذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام، أخرَّجه مسلم وغيره.

وأخرج أبو داود بسند جيد، والحاكم وصححه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها).

(وهذا الدين يحمله من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين).

كما أن من حسن العزاء أن هؤلاء العلماء -رحمهم الله- باقون بذكرهم؛ أحياء بعلمهم، يلهج الناس بالثناء عليهم والدعاء لهم، ويجتهدون في اقتفاء آثارهم، وترسم خطاهم، علما وعملا، ودعوة ومنهاجا، تشبها بالكرام إن لم يكونوا مثلهم، فذلك أمارة الفلاح.

وكما أنَّ مِنْ حسن العزاء -أيضا- أن علماء الشريعة -ولله الحمد والمنة- مُتوافرون عبر الأعصار والأمصار، يحيي الخلف منهج السلف، يسير على دربه، ويهتدي بهديه، وهذا ما فعله شيخنا القرضاوي -حفظه الله- الذي أخذ على عاتقه حفظ الجميل لأهله، ورد الفضل لأصحابه من العلماء والدعاة؛ فهو حريص على رثاء من مات منهم؛ إظهارا لمآثره، ونشرا لمناقبه، وذكرا لمحاسنه؛ فكلما مات أحد من هؤلاء الأعلام ترقبنا ما يسطره قلم الشيخ السيال عنه، رغم اختلاف انتماءاتهم ومشاربهم الفكرية والعلمية.

وفي الأسطر التالية سنحاول إلقاء الضوء على منهج الشيخ في تناوله لسير ورثاء هؤلاء الأعلام، سائلين المولى -عز وجل- أن يعيننا على أن نسمو بهممنا، وننهض بمهماتنا في نصرة دين الله، ونفع عباد الله.

تمهيد

تُفرِد الكثير من الدوريات المعنية بالفكر والفن والأدب والتاريخ صفحات منها لإلقاء الضوء علي شخصيات مختلفة في كافة مناحي الحياة تقديرا لدورها الفعال في المجال الذي أثرت فيه أو دارت في فلكه بما عاد بالفائدة علي الأجيال،

تقتدي بها وتأتم بهداها وتسير علي نهجهــا؛ وبما أسدته لأمتها من جليل الخدمات التي تعود ــ علي تلك الأمة أو البشرية جمعاء ــ بالنفع لما فيهـــا من صـــالح الأعمال؛ وترك بصمة تستحق من أجلها الخلود في الوجدان.

ولما كنا في زماننا هذا نتعرض لهجمات شرسة ممــن لا يــستحقون الذكـــــر فيغرقوننا بسيل لا ينقطع من مذكراتهم الشخصية يكتبونها بأنفسهم، أو يقـــومون بإملائها علي من يقدمون لهم العطاء الجزيل في العطايا والمنح؛ لذا فقد دفعني هذا الواقع علي أن أكتب في هذا الموضوع بما أري أنه سيعود بالفائــدة بمــشيئة الله تعالى على المهتمين والمختصين؛ وفي إطار تناولي بإذن الله وحوله وقوته مــنهج الإمام القرضاوي في تناول سير الأعلام والمراثي؛ اتبعت المنهج الاســتقرائي و الاستنباطي لاستخراج معالم هذا المنهج من خلال ما كتبه الإمام – وهو من الكثرة بمكان – ثم طبقت معايير المنهج التأريخي للشخصيات علــى مــا كتبــه الإمــام القرضاوي من مراثي وسير منثورة في كتبه وسيرته الشخصية مع كتابات مفردة منشورة؛ وبعض المراثي في البرامج التليفزيونية.

وقبل أن نبدأ نود أن نوضح بعض النقاط في مجال التأريخ للشخصيات إما علــى سبيل سرد سير الأحياء أو الرثاء لأعلام فُقِدوا؛ منها:

١ــ إن كتابة السيرة الذاتية أو التأريخ لشخصية ما أو الترجمة لها تعد مــن أقــدم الوسائل منذ أن عرف الإنسان الكتابة ذاتها، نري ذلك واضحا وجليا فيما تركته لنا الأمم والحضارات السابقة بكافة الوسائل.

٢ــ المقصود من كتابة سيرة الأشخاص أنها اهتمام بكل جزئيات الشخصية ومــا فيها من وقائع وتفاصيل وأحداث مع ضرورة التركيــز علي كل الجوانب المثمرة في حياة هذه الشخصية في شكل تصاعد درامي يصحبه عنــصر التــشويق فــي العرض؛ مع عدم إغفال أي جانب منها لحساب جانب آخر، وإظهار كل العوامــل المؤثرة في الشخصية والتي من شأنها إضفاء سمة الوضوح واستجلاء الحقائق.

٣ ــ الكتابة عن طبيعة البيئة أو الوطن الذي عاشت فيه هذه الشخصية ومدي ما كان لها من تأثير في التكوين الثقافي والوجداني ــ بالسلب أو بالإيجاب ــ ومدي ما حققه ذلك من ثراء وعمق مع الاستعانة ولو بقدر من رؤية المحيطين به من قريب أو بعيد؛ يعد من التأريخ والشهادة على العصر.

٤ــ تختلف كل شخصية عن غيرها بالطبع، ولعل الهدف من الكتابة أساسا يجب أن ينبع من ضرورة التيقن من أن الشخصية المراد الترجمة لها أو الكتابة عنها ستجد لدي المتلقي صدي وصلة، وهنا يقع العبء الأكبر علي الكاتب نفسه والذي يجب أن يسعي سعيا حثيثا للبحث عن العوامل النفسية للشخصية ليرفع عنها الظلم والإصر والتجاهل الذي ربما يكون قد لحق بها ويفض عنها الأغلال التي تحيط بها كما ينفض عن كاهلها غبار الزمن ويجعلها ــ أي الشخصية ــ كأنما تبوح بمكنوناتها.

٥ ــ لا تتحقق النقطة السابقة بقصد التلميع قدر ما تتحقق بالبحث عن إجابات لأسئلة ملحة تجول بخاطر المتلقي الذي يحركه الشوق دوما للاستزادة وأن يسعي الكاتب ليميط اللثام عن أسرار النجاح الذي بلغته الشخصية باجتيازها أي عثرات في الطريق؛ وعن تلك القدرات الفردية التي تحلت بها وجعلت من أي فشل مطية وسبيلا للنجاح.

معالم المنهج التاريخي عند الإمام القرضاوي

في مقدمته للمراثي وضّح الإمام القرضاوي قيمة وجود العلماء الربانيين في الأمة الإسلامية فهم على حد قوله: رحمة من الله بها، ونعمة من الله عليها. فهم الذين يبينون الحقائق، ويردون على الأباطيل، ويدحضون الشبهات، ويصححون المفاهيم، ويأخذون بأيدي الناس إلى ساحة الله. يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويقولون الحق ولو كان مُرًّا، ويصدعون بأمر الله، لا يخافون لومة لائم، ولا نقمة ظالم، ولا سطوة حاكم.

وقد وضح سبب سعيه للكتابة عن هؤلاء الأئمة الأعـلام الربـانيين – وإن كنا نأمل أن لو كانت كتابته عنهم قبل رحيلهم؛وهو الذي يدعو دائما لتكريم العلماء في حياتهم – أن: "أخطر شيء على حياة الأمة المعنوية: أن يذهب العلماء، ويبقى الجهال، الذين يلبسون لبوس العلماء، ويحملون ألقاب العلماء، وهم لا يستندون إلى علم ولا هدى ولا كتاب منير. فهم إذا أفتوا لا يفتون بعلم، وإذا قضوا لا يقـضون بحق، وإذا دعوا لا يدعون على بصيرة، وهو الذي حذر منه الحـديث الـصحيح الذي رواه عبد الله بن عمرو "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه مـن صـدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" متفق عليه."

وكذلك سعي العلمانيين والماركسيين لتمجيد آحادهم ونكراتهم وصنع هالات مزورة حولهم؛ فالتعريف بعلمائنا وأعلامنا ومفكرينا ودعاتنا، هو حقهم علينـا، أو حق الأجيال أيضا: أن نعرفهم بهم، ونصلهم بتراثهم.

ومن خلال قراءتي لما سطره الإمام من سير ومراثي لأعلام عظام رأيت أنه قـد تحلي بصفات قد لا تجتمع في أحد غيره من الكتاب والمؤرخين – وإن لـم يكـن مؤرخا–، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ــ الصبر والأناة مع المثابرة والتروي عند الكتابة:

ومما يدلل على ذلك هذه الكلمات من مراثيه للأعلام الآتية:

أ ــ فضيلة شيخ الأزهر الأسبق جاد الحق علي جاد الحق– رحمـه الله – فقال فيه: "وأما الشيخ جاد الحق فلا أعرفه، كما عرفت الشيخ الغزالي وصـحبته واقتربت منه نصف قرن من الزمان. وإنما لقيته مرات قليلة في بعض المؤتمرات والندوات، في مصر، وفي الكويت، وفي المملكة السعودية، فما علمـت عنـه إلا خيرا. وعرفت بعض أخباره ومواقفه من الصحف وأجهزة الإعلام، ومن بعـض من عاشروه."

ب ــ المفكر المناضل الدكتور أحمد صدقي الدجاني –رحمه الله –: "وعائلة الدجاني عائلة يافوية معروفة: دينية صوفية. فقد كان جد أحمد صدقي – الشيخ محمود– قاضيا شرعيا في الدولة العثمانية، وقد مات قبل ولادته بعامين، وهو الذي أوصى أمه إذا جاءها ابن أن تسميه أحمد صدقي. عيّن الشيخ محمود الدجاني قاضيًا في ليبيا في أوائل القرن العشرين، قبل الانقلاب على السطان عبد الحميد (١٩٠٨م) وكانت إقامته بين طرابلس وزليطن والخمس، وقد كانت ليبيا كما كانت فلسطين: جزءا من دولة واحدة هي دولة الخلافة العثمانية. وقد غرس هذا في نفسية الطفل أحمد صدقي وحدة بلاد العروبة والإسلام، التي كانت تمثل دولة واحدة يحكمها الخليفة، وكان جده ينتقل بين ربوعها بحرية واطمئنان، وقد أورثه هذا النزعة العروبية الإسلامية، التي لا ترى تعارضا بين الإسلام والعروبة، على غرار ما سبقه به الإصلاحيون العرب في أواخر عهد الدولة العثمانية من أمثال الشيخ رشيد رضا والشيخ طاهر الجزائري، وأمثالهما من دعاة التجديد والإصلاح في ظل الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية التي تجمع العرب والأتراك تحت راية القرآن."

ج ــ علامة الشام الدكتور مصطفى الزرقا –رحمه الله –: "ولد الشيخ الزرقاء في مدينة حلب الشهباء ــ في سنة ١٣٢٢هـ ــ١٩٠٤م ــ من أسرة علمية دينية عريقة، اشتغلت بالفقه الحنفي، وبرزت فيه.

فجده العلامة الشيخ محمد الزرقا (ت ١٣٤٣هـ) كان فقيه زمانه، وكان العلماء يأخذون عنه ويقرءون عليه حاشية ابن عابدين الشهيرة في الفقه الحنفي.

وأما والده فهو العلامة الشيخ أحمد الزرقا (ت ١٣٥٧هـ) الذي درس الفقه الحنفي درسا، بل حرثه حرثا وترك لنا فيه أثرا ملموسا هو (شرح قواعد المجلة) وقد نشرها شيخنا مصطفى بتقديمه منذ سنوات.فهو غصن باسق من شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء"ذرية بعضها من بعض"

وهذا النسب العريق هو الذي سماه أديب الشام الشيخ علي الطنطاوي (سلسلة الذهب) !وهو الذي يستطيع الشيخ الزرقا أن يزهو به ويقول: أولئك آبائي فجئني بمثلهم!"

٢ـ المواءمة بين ما يكتبه وبين الحقائق الواقعية:

ويتضح ذلك فيما كتبه في رثاءات كل من:

أـ الأستاذ الراحل عادل حسين – رحمه الله حينما قال: "لقد اتصل بي الإخوة في إسلام أون لاين بعد ظهر الخميس (٢٠٠١/٣/١٥م) وأبلغوني بالنبأ الفاجع الذي وصلهم في الحال: إن الكاتب المفكر الإسلامي المجاهد المعروف عادل حسين قد ودع الحياة، ولقي ربه، بعد أن أصابه نزيف حاد، دخل على أثره مستشفى مصطفى كامل بالإسكندرية، ولكن أجل الله إذا جاء، لم ينفع دواء، ولم يغن طب الأطباء. "

ب ـ الشاعر الموهوب عمر بهاء الدين الأميري – رحمه الله تعالى – فقال على طريقة تعارفهما: "عرفت الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري أول ما عرفته، وأنا طالب في المرحلة الثانوية، عن طريق مجلة (الشهاب) التي كان يصدرها الإمام حسن البنا، ويديرها الداعية المحبوب سعيد رمضان، وذلك سنة ١٩٤٨م، والتي لم يقدر أن يصدر منها غير خمسة أعداد، ثم اختار الله صاحب امتيازها، ورئيس تحريرها شهيدا إلى جواره سبحانه. وقد سنت المجلة سنة حسنة: أن تختم كل عدد بما أسمته (سجل التعارف الإسلامي).

كان سجل التعارف يحوي في كل عدد صور مجموعة من العلماء والمفكرين والدعاة من مصر، ومن سائر أقطار العالم الإسلامي، وفي مقابل كل صورة: تعريف موجز مركز بشخصية صاحب الصورة وإشارات إلى مجمل سيرته. وهدف المجلة: أن توجد رباطا عاطفيا بين القراء وهؤلاء الأعلام، حين يطلعون على صورهم وسيرهم.

وقد عُني سجل التعارف الإسلامي بالتعريف بعدد من الشخصيات الإسلامية السورية المرموقة، مثل الداعية الفقيه الدكتور مصطفى السباعي، والفقيه العلامة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا، والكاتب والمفكر الأستاذ محمد المبارك، والسياسي الفقيه الدكتور معروف الدواليبي، والكاتب الداعية الأستاذ أحمد مظهر العظمة أمين التمدن الإسلامي، والعلامة الشيخ محمد بهجت البيطار.

وكان من الصور التي نشرت في العدد الثالث: صورة عمر بهاء الدين الأميري، وهو شاب في مقتبل العمر، وكتبت المجلة تحته: المحامي بحلب، ووكيل الدعوة الإسلامية.

ثم ذكرت نبذة عنه في الصفحة المقابلة فقالت: سوري من صفوة أبناء حلب، ولد سنة ١٣٢٩هـ، وقضى بعض عمره المبارك في الدراسة بفرنسا، وتخرج من (الحقوق السورية) سنة ١٩٤٠م، وكان نجاحه منقطع النظير. واشتغل بالمحاماة، مشترطا على موكليه أن يتخلى عن دعاويهم، إذا ظهر وجه الحق في غير جانبها! واشتغل بالحركة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وأسس مركزا للدعوة الإسلامية في باريس، وهو شاعر مطبوع، ومجاهد مؤمن."

ج – وقال في العلامة الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله ورضي عنه –: " وكان الشيخ في الفقه حنبليا، ولكنه لم يكن مقلدا، يأخذا القول في مذهبه ولو كان ضعيف الحجة، بل كان رحمه الله يعتمد الدليل ويستند إلى الكتاب والسنة ويعرض عن مذهبه إذا كان الحق مع غيره، لا يخشى لومة لائم وقد كان فوق أن يلومه أحد.

ولذا رأيناه يفتي بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية في الطلاق.

وكان الشيخ يرأس إدارات الفتوى والبحوث والدعوة، ويرأس هيئة كبار العلماء ويرأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ويرأس المجلس العالمي الأعلى للمساجد، ويرأس مجلس المجمع الفقهي للرابطة، وظل سنين رئيسا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان مُقَرَّبا من أولي الأمر في المملكة فكان ذوا مكانة محفوظة عندهم جميعا عن يمين الملك إذا حضر. "

٣ــ استثمار قدراته الشخصية في الكتابة وإضفاء مسحة بارعة في السرد؛ مع القدرة الرائعة على البناء الدرامي.

ويظهر هذا جليا في كلامه في هذه المراثي:

أ ــ فحينما صور كيفية تعرفه على علامة الشام الدكتور الزرقا قال: "عرفت العلامة الشيخ مصطفى الزرقا أول ما عرفته في صورة له في مجلة (الشهاب) المصرية، التي أصدرها في أواخر حياته الإمام حسن البنا رحمه الله، لينشئ بها ثقافة إسلامية معمقه تخلف بها مجلة (المنار) التي كان يصدرها العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله.

وكانت المجلة تصدر في آخر كل عدد صفحة أو أكثر سمتها: سجل التعارف الإسلامي، تشتمل على صور لعدة شخصيات إسلامية. من بلاد شتى، ونبذة مركزة عن كل منها وكان من صور هذا السجل في العدد الأول: صورة للأستاذ الزرقا، وهو شاب وسيم وقور، يرتدي عمامة بيضاء، وكتبت المجلة عنه: الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقاء: من كرام أبناء سورية، ولد سنة ١٣٢٣هـ، وطلب العلم في حلب، وتخرج من كليتها الشرعية، وحصل على الإجازة من كلية الحقوق بالجامعة السورية وهو الآن أستاذ الشريعة الإسلامية فيها، وهو باحث قانوني ممتاز، وقد صاغ الفقه الإسلامي بأسلوب عصري، ورتب نظرية الالتزامات في القانون الوضعي في مؤلفه (الحقوق المدنية) وله كذلك كتاب (أحكام الأوقاف) ويدرس الآن في قسم الدكتوراه بجامعة فؤاد الأول، وقد حصل على دبلوم الشريعة الإسلامية بامتياز."

ب- ونراه حينما صور علاقته بالحاج حسين وهبة رحمه الله قال فيه: "وكان رحمه الله حريصا على أن يرخص ثمن الكتاب ما أمكنه للقارئ المسلم، وخصوصا للطلاب، فلم يكن نشر الكتاب عنده مجرد كسب وتجارة، بل كان عنده واجبا ورسالة.

أذكر في أوائل السبعينيات كنت نشرت كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) عند الأخ أسعد السيد رحمه الله، وقد كلمني وأنا في قطر: أنه يريد أن يبدأ مهمة النشر بعد خروجه من السجن، وهو يريد أن يفتتح هذا المشروع بكتاب (الحلال والحرام)، وأعطيته الكتاب، ولما لم يكن له دار للنشر في ذلك الوقت، فقد طبع الكتاب في (دار الاعتصام) وأرسل الكتاب أول ما اكتمل طبعه، فإذا بإخواننا في (دار الاعتصام) يعقبون على الكتاب في الأمور التي يخالفونني فيها، ويبينون وجهة نظرهم دون أن أرد عليها.

وغضبت لهذا الأمر، وطلبت من المرحوم أسعد أن يوقف توزيع الكتاب حتى أكتب ردا على التعقيب، يوزع مع الكتاب. وبالفعل عكفت على الرد عدة أيام حتى أنجزته وأرسلته إليه، ولكني فوجئت ببرقية منه تقول: أن الكتاب وزع بالفعل ولم نتمكن من توزيع الرد معه.

وقد صممت على سحب الكتاب منهم, لأنشره عند الحاج وهبة، وعرضت عليه أن ينشر تعقيب (الاعتصام) وردي عليه الذي تعبت فيه. ولكن وهبة رحمه الله، قال: إن هذا سيزيد الكتاب نحو ثلاث ملازم، ويزيد في سعره نحو الربع، وهذه الاعتراضات معروفة. ورأيي أن يظل الكتاب بحجمه هذا، وثمنه هذا، ولا نثقل على القراء. وقبلت رأيه وبقي ردي إلى اليوم لم ينشر".

ج – وحينما يصف الشاعر الدكتور محمد قطبة –رحمه الله تعالى– قال فيه: " وعاد إلى قطر فاشتغل بالتدريس في الجامعة، وكان نعم المدرس، ونعم المربي لطلابه وطالباته، وكان نعم الزميل لإخوانه ورفقائه من هيئة التدريس، وكان نعم العون والمساعد للمسئولين في قيادة الجامعة.

واختير ليكون وكيلا مساعدا لوزارة التربية والتعليم، فأعطى الوزارة من جهده ووقته، وعقله وقلبه مالا يعطيه غيره، حتى كان يسهر معظم الليالي يراجع الأوراق، ويدرس المشاكل، وينظر في الطلبات، وعاتبه بعض أهل بيته وإخوانه على هذا الجهد الخارق، وطلبوا منه أن يخفف عنه ويرفق بنفسه، وأن يؤجل

بعض الأشياء إلى الغد، ويأخذ حظه من النوم حتى يستطيع أن يواصل المسيرة، فكان جوابه الحاسم لهم: كيف يمكنني أن أنام ملء جفني، وفي هذه الأوراق حقوق يجب أن تدفع، ومظالم يجب أن تُزَال، ومشاكل يجب أن تُحَل، ولا شيء فيها يحتمل التأجيل. وكأنما كان يتمثل عمر بن عبد العزيز حين نصحه من حوله أن يؤجل بعض الأعمال إلى الغد، فقال لهم: لقد أعياني عمل يوم واحد، فكيف إذا اجتمع علي عمل يومين؟!

وكانت نتيجة هذا الجهد الدائب المتواصل: أن سقط الرجل طريح الفراش، بعد أن أصابته جلطة حادة، دخل فيها الإنعاش مدة من الزمن، وكادت هذه النازلة أن تُودي بحياته لولا لطف الله تعالى به، وقد قال ابن عطاء: من ظن انفِكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره (إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم).

وبعد أن تماثل للشفاء –بفضل من الله تعالى ورحمه– عاد إلى الجامعة، يمارس عمله الأساسي في التربية والتدريس.

ومع هذا لم يدع العمل العام، فهو يساهم في العمل الدعوي، ويساهم في العمل الأدبي، ويساهم في العمل الاجتماعي، ويشارك في أنشطة شتى: ثقافية وتربوية وخيرية وإدارية."

٤ ــ استيفاء الجوانب المهمة في الشخصيات بحيث تتضح مواطن القدوة فيها:

أــ فحينما تكلم عن العالم الغيور الشيخ عبد الله الأنصاري وجدنا يصفه بهذه الصفات: "كان الشيخ الأنصاري شعلة من النشاط والحركة، والغيرة الدينية، وكان رضيا محببا، إلى كل من عرفه من الناس، وكان سر ذلك يرجع إلى سماحة نفسه، وسعه صدره، وحسن خلقه، ورقة طبعه، فهو رجل سهل سمح موطأ الاكناف، كريم النفس، مبسوط اليد، يألف ويؤلف، يحب ويحب، يرحم الصغير، ويوقر الكبير، ويقري الضيف، ويبذل للمحتاجين، ويعين علي نوائب الدهر، تقوم حياته

على المياسرة لا المعاسرة، والتسهيل لا التعقيد، والتسامح لا التعصب، والمرونة لا الجمود، ظهر هذا في علمه وفقهه، كما ظهر في تعامله وسلوكه، فهو يقتبس من المنهج النبوي: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) متفق عليه عن انس.كما اقتبس من الخلق النبوي: أنه ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما."

ب – وحينما بدأ في نعي شيخ المفسرين المعاصرين الشيخ محمد متولي الشعراوي – رحمه الله تعالى – بدأ بقوله: "لقد رحل عنا رجل القرآن وهو الشيخ الشعراوي، فلا شك أنه كان أحد مفسري القرآن الكبار، وليس كل من قرأ القرآن فهمه ولا كل من فهم القرآن غاص في بحاره وعثر على لآلئه وجواهره ولا كل من وجد هذه الجواهر استطاع أن يعبر عنها بعبارة بليغة، ولكن الشيخ الشعراوي كان من الذين أوتوا فهم القرآن ورزقهم الله تعالى من المعرفة بأسراره وأعماقه ما لم يرزق غيره، فله فيه لطائف ولمحات وإشارات ووقفات ونظرات استطاع أن يؤثر بها في المجتمع من حوله، وقد رزق الله الشيخ الشعراوي القبول في نفوس الناس فاستطاع بأسلوبه المتميز أن يؤثر في الخاصة والعامة في المثقفين والأميين في العقول وفي القلوب وهذه ميزة قلما يوفق إليها إلا القليلون الذين منحهم الله تعالى من فضله".

ج – وكذلك نراه في وصفه للعلامة علي الطنطاوي –رحمه الله تعالى– يقول واصفا إياه: "عرفت الشيخ علي الطنطاوي في بواكير شبابي، حين كنت مشغوفًا بالأدب والشعر، منهومًا بقراءة كتب الأدب، وتتبع المجلات الأدبية، وعلى رأسها المجلة الأدبية الأولى في الوطن العربي، هي مجلة (الرسالة) التي كان يصدرها الأديب المعروف أحمد حسن الزيات، ويكتب فيها عمالقة الأدب، أمثال الرافعي والعقاد والمازني. وغيرهم من أدباء العرب.

وكان علي الطنطاوي أحد كتاب الرسالة، المحببين لدي، لنزعته الإسلامية، وسلاسته وعذوبة منطقه، وبراعة تصويره، فيما يصف به الأشياء والمعاني والشخصيات، كأنما هو مصور يسجل بـ (الكاميرا) لا أديب يسجل بالقلم.

وقد وقع في يوم من الأيام على مقالة: علي الطنطاوي القاضي الشرعي، فزاد ذلك من حبي إياه، وتقديري له، لما ربط بيني وبينه من وشائح العلم الإسلامي، والعلم رحم بين أهله، كما قال أسلافنا. وعرفت أن الرجل من علماء الإسلام الذين جمعوا بين العلم والأدب، وربطوا الفقه بالحياة.

وقد أشرف في سنة ١٩٤٧ على تحرير الرسالة. حين مرض الأستاذ الزيات أو تمارض، وكلف الأستاذ والطنطاوي القيام على تحريرها.

وعرفت الأستاذ الطنطاوي بعد ذلك مؤلفًا خصوصًا في التاريخ، وقرأت كتابه عن عمر بن الخطاب في جزأين وغيره من الكتب."

<u>٥ ـ كتابة سيرة الأعلام عنده جزء من كتابة التاريخ وليست حشدا للمعلومات والحقائق فقط:</u>

أـ نرى هذا جليا حينما تكلم العلامة القرضاوي عن شيخه وأستاذه العلامة الغزالي رحمه الله تعالى – حينما قال: "قد عاش الشيخ الإمام رحمه الله عمره كله محاربا للقوى المعادية للإسلام في الداخل والخارج، والتصدي لتياراتها، والعمل علي هدم أوكارها، وهتك أستارها، وكشف عملائها. وهو هنا مقاتل عنيد، لا يستسلم ولا يطأطئ، ولا يلين يوما.

وقف في وجه الاستعمار، وكشف عن حقيقته ودوافعه، وأنها (أحقاد وأطماع).

وفي وجه الصهيونية، التي اغتصبت الأرض المقدسة وشردت الأهل، وخططت لهدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان علي أنقاضه.

وفي وجه التنصير، الذي يريد أن يسلخ المسلمين من عقيدتهم، ليصبح المسلمون عبيدا للصليبية الغربية.

وفي وجه الشيوعية التي سماها (الزحف الأحمر) ونبه علي خطرها من قديم، واكتساحها للجمهوريات الإسلامية في آسيا.

وفي وجه الحضارة المادية وأباحتها الجنسية، وعصبيتها العنصرية، ومحاولتها للسيطرة الإمبريالية، وان لم ينكر ما فيها من عناصر إيجابية يمكن الاستفادة منها.

وفي وجه العلمانية اللادينية، التي تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، تريد الإسلام عقيدة بلا شريعة، وسلاما بلا جهاد، ودينا بلا دوله، واتباعا أعمى للغرب "شبرا بشبر، وذراعا بذراع"."

ب- ونراه حينما يسرد قصة إنشاء هيئة ضد التنصير يقص قصة حقيقية عن رجل الدعوة والمواقف والفضائل الشيخ عبد الله علي المطوع "أبو بدر" فقال: "وحسب أبي بدر عندي فخرا: أنه كان أول من ساند دعوتي لإقامة مؤسسة تحافظ على الوجود الإسلامي للأمة في مواجهة خطة التنصير التي قرَّرها المنصرون الأمريكان الذين اجتمعوا في ولاية كولورادوا سنة ١٩٧٨م في مؤتمر قرروا فيه: تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، جمعوها في الحال، وأنشئوا لذلك معهدا سموه معهد (زويمر) لتخريج مبشرين متخصصين في تنصير المسلمين.

وحين ناديت -في الجلسة الختامية لمؤتمر المصارف الإسلامية الذي انعقد في الكويت- بضرورة تأسيس هذه المؤسسة أو الهيئة، ورشحت أمينا عاما لها: الشيخ يوسف جاسم الحجي، وطلبت من الحضور أن يكونوا أول المساهمين في إنشاء هذا الكيان المنشود.

وهنا لا أنسى موقف أبي بدر رحمه الله، وغفر له وجعل الجنة مثواه، الذي أقبل عليَّ، وهمس في أذني قائلا: إني أتبرع لهذا المشروع بمليون دولار، أودعها لحسابه في بيت التمويل الكويتي، وأرجوك ألا تعلن عن اسمي. ولقد وفقتَ كل التوفيق في اختيار يوسف الحجي لهذا الأمر، فهو الرجل الذي يُجمع الكويتيون على صدقه واستقامته وإخلاصه والرضا عنه. وهذا من بشائر الخير لفكرتك.

وكانت هذه الخطوة بشرى بنجاح دعوتي، وقد بادرت بالإعلان عن التبرع بمليون دولار، دون أن أذكر اسم المتبرع كما طلب.

ثم لم تمض مدة حتى عرف الناس من هو صاحب المليون.

ولم يكتف أبو بدر بذلك، بل ضم إلى المليون عمارتين من عماراته أوقفها لصالح المشروع.

وكان أبو بدر عضو اللجنة التحضيرية التي قامت بالإعداد للمشروع الكبير، مع يوسف الحجي، وسليمان الراجحي، وعبد الله العقيل، والفقير إليه تعالى. حتى تأسست الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وقامت بدورها الخيري والإنساني في العالم الإسلامي والعالمي.

وكان أبو بدر ضمن الوفد الذي قرَّر مجلس الإدارة أن يمرَّ على دول الخليج وعلى أمرائها، وأن يعرض عليهم الفكرة، ويشرح لهم أهدافها، وأنها لا تتدخل في السياسة، وإنما تحاول حماية المسلمين ممن يحاول تغيير عقيدتهم، واستلاب هُويتهم.

وفعلا كان الشيخ الحجي وأبو بدر من الكويت، والشيخ عبد الله الأنصاري والفقير إليه تعالى من قطر، والشيخ عيسى بن محمد آل خليفة من البحرين. وقد مررنا على أمير قطر السابق الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، ورحب بنا كل الترحيب، وأذن لنا بفتح حساب في قطر لجمع التبرعات لحساب الهيئة.

وكذلك التقينا بأمير البحرين الراحل الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة، فاحتفى بنا غاية الاحتفاء، ووعدنا بأن يُذلِّل الصعاب أمامنا. ولم يُفتح الباب لنا في الإمارات ولا في المملكة ولا في عمان."

ج – وحينما صور موقف الأستاذ أبو شقة مع العلامة أبو الحسن الندوي – رحمهما الله تعالى– نجده يقول: "زارنا في أوائل الستينات في الدوحة الداعية الكبير السيد أبو الحسن الندوي، وجلسنا معه جلسة روحية دعوية شفافة. وكان فيما قاله لنا: أنه نصح أحد الدعاة المشاهير في ذلك الوقت أن يتجنب الطريق التي يسلكها فإنها خطرة، وقال الشيخ: لقد قلت له: ابتعد عن هذه المركب، فإنه

ستغرق!. وهنا قال الأخ عبد الحليم: وهي يا أستاذ أن هذه المركب ستنجو ولن تغرق، هل ركوبها صحيح ومشروع في الأصل أو لا؟

وهنا عرفت أن هذا الرجل رجل مبادئ وقيم، وليس رجل مكاسب ومصالح".

٦ـ توضيح وجهة نظره في الأحداث والزوايا الغامضة بحياد وموضوعية تامة وبعد عن التجني أو الجور:

أ ــ نرى هذا واضحا من كلامه على وقفات الراحل الأستاذ عادل حسين رحمه الله تعالى حينما قال: "وكانت آخر معاركه الفاصلة: معركة الرواية الشهيرة (وليمة لأعشاب البحر) التي هيجت الرأي العام المصري من الإسكندرية إلى أسوان، وثار لها طلاب الأزهر وطالباته، ووقف معهم شيخ الأزهر ومدير جامعته ومجمع بحوثه، فقد تجاوزت هذه الرواية الحدود في الطعن في المقدسات، وفي قدس الأقداس، الله جل جلاله، والقرآن ومحمد عليه السلام، كما خرجت على كل مألوف في رعاية الآداب والأخلاق.

وكانت وقفة جريدة (الشعب) ورئيس تحريرها مجدي حسين، وأشهر محرريها عادل حسين، الأمين العام للحزب الاشتراكي وقفة تاريخية، وهي التي ألهبت الشعور المصري العام ضد الرواية وكاتبها ولا سيما أن الذي تولى نشرها هو وزارة الثقافة المصرية.... التي يفترض فيها ألا تنشر على الشعب المصري إلا ما يتفق مع عقيدته ومسلماته الدينية والوطنية.

وقد اعتقل عادل حسين وابن أخيه مجدي حسين إثر هذه المعركة، وحوكما وجمد الحزب وأغلقت الصحيفة، وحكم على عادل حسين بغرامة عشرين ألف جنيه، وهو رجل يعيش على الكفاف. ورغم إنصاف القضاء المصري للحزب وللجريدة لم تلتزم السلطة بتنفيذ حكم القضاء. والعجيب أن وزارة الثقافة المصرية في مرحلتها الراهنة أمست تتبنى ما كانت تنكره على عادل حسين وإخوانه من قبل،

وهو ما يحمد لها ويحسب في ميزانها. وأصبحت تُهاجَم من قِبل الكتاب اليساريين والعلمانيين، الذين طالما كالوا لها المديح والإطراء من قبل! "

ب- ونجده واضحا جدا في تعليقه على استشهاد الشيخ أحمد ياسين – تقبله الله في الشهداء – واتهامه لأمريكا ورئيسها وإسرائيل وحكومتها فيقول: " ولو كنت قاضيا يحكم في هذه الجريمة، ويحاكم القتلة والجناة فيها، لكان المتهم الأول عندي فيها هو الرئيس (بوش). فهو المحرض الأول على الجريمة، وهو الذي أعطى المجرم السلاح، وهو الذي يعتبر المجرم القاتل مدافعا عن نفسه.

بوش هو الذي أفتى شارون وعصابته بأن (المقاومة الفلسطينية إرهابية) وفي مقدمتها حماس والجهاد، ومعنى أنها إرهابية: أنها تستحق القتل، وأن لا عقوبة على من قتل الإرهابيين. وهكذا قال نائب وزير الدفاع الإسرائيلي: إن أحمد ياسين كان ممن يستحق القتل.

هذا هو منطق أمريكا وإسرائيل، أو منطق بوش وشارون: أحمد ياسين إرهابي مجرم يستحق القتل، لأنه يدافع عن وطنه، عن أرضه وعرضه، عن منزله ومزرعته وشجرة زيتونه، عن حرماته ومقدساته.

أما شارون القاتل السفاح، فهو ضحية مسكين، لا يمكنه الفلسطينيون الأشرار أن يلتهم كل ما يريد من أراضيهم".

ج – وفي مقدمة رثاءاته نجد العلامة القرضاوي يوضح موقفه من وضع العلماء عند الأمة فيقول: "إن مما يؤسف له حقا أن يموت العالم الفقيه، أو العالم الداعية، أو العالم المفكر، فلا يكاد يشعر بموته أحد، على حين تهتز أجهزة الإعلام، وتمتلئ أنهار الصحف، وتهتم الإذاعات والتلفازات بموت ممثل أو ممثلة، أو مطرب أو مطربة، أو لاعب كرة أو غير هؤلاء، ممن أمسوا (نجوم المجتمع) !.

وأسف آخر: أن العلمانيين والماركسيين وأشباههم إذا فقد واحد منهم، أثاروا ضجة بموته، وصنعوا له هالات مزورة، وتفننوا في الحديث عنه، واختراع الأمجاد له، وهكذا نراهم يزين بعضهم بعضا، ويضخم بعضهم شأن بعض. على حين لا نرى

الإسلاميين يفعلون ذلك مع أحيائهم ولا أمواتهم، وهذا ما شكا منه الأدباء والشعراء الأصلاء من قديم، حتى قال قائلهم:

ذهب الــرجال المقتدى بفعالهم الــمنكرون لــكل أمــر منكــر

وبقيت في خلْف يزيّن بعضهم بعضا، ليدفع مُعْور عن مُعور!

لهذا كان لزاما علينا أن نعرف بعلمائنا وأعلامنا ومفكرينا ودعاتنا، فهــذا حقهــم علينا، أو حق الأجيال أيضا: أن نعرفهم بهم، ونصلهم بتراثهم."

٧ ــ رصــد مراحل حياة المترجم له وذلك بتتبع خط بيــاني يرســمه للشخصية وبحث كل المؤثرات سواء بالسلب أو بالإيجاب على صاحبها، وبما لحق هذه المؤثرات من حقائق ومتغيرات وحركة ونمو سواء كان هذا النمو على المستوى الداخلي أو الخارجي:

أــ نرى هذا واضحا في سرد حياة العلامة علي الطنطاوي فقيه الأدبــاء وأديــب الفقهاء –رحمه الله تعالى– حيث يقول عن نشأته: "نشأ الشيخ الطنطاوي في أسرة علمية، فجده الشيخ أحمد الطنطاوي من العلماء، وكان إمامًا في الجيش العثمــاني، وقد حدثنا عنه في مذكراته أو ذكرياته. وكان والده الشيخ مصطفى إمام مــسجد، وكان يعمل أميناً للفتوى مع الشيخ أبي الخير بن عابدين مفتي الشام. وكان عمــه أكبر عالم في علم الفلك الإسلامي، وكان خاله العلامــة المحقــق محــب الــدين الخطيب، صاحب مجلتي (الزهراء) و(الفتح) اللتين كان لهما دور كبير في إيقــاظ المشاعر الإسلامية، وتصحيح المفاهيم الإســلامية، وربــط المــسلمين بالقــضايا الإسلامية.

وقد تقلبت به الأيام في دراسته، وأخذ البكالوريا من الشام، ثم جــاء إلــى مــصر ليدرس فيها، وتجلى في مدرسة دار العلوم العليا، دخلها في السنة التي تخرج منها حسن البنا، ولكنه زامل سيد قطب في الدراسة وكان معه في فــصل واحــد، وإن كان سيد يكبره بثلاث سنوات.

لم يستمر في دراسته بدار العلوم، وألح عليه خاطر لم يستطع له دفعًا: أن يعود إلى دمشق، وعاد إليها، والتحق بكلية الحقوق، وكان رفيقه فيها فقيه الأمة الشيخ مصطفى الزرقاء حفظه الله.

وتقلبت به الأيام ما بين التعليم والقضاء، حتى وصل إلى درجة مستشار بمحكمة النقض العليا.

حفظ الشيخ عشرات ومئات القصائد من الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي والأموي، باعتباره الحجة في اللغة. كما حفظ من الشعر العباسي أيضًا، وقرأ الكثير من كتب الأدب والتاريخ وعلوم الدين، والثقافة العامة، كما تعلم من مدرسة الحياة وكتاب الواقع، من خلال معايشته ورحلاته إلى مصر والعراق واستانبول وأوربا وآسيا وأفريقيا. وقد وهب بصيرة نيرة، وحسًا نقديًا عاليًا، بدا ذلك في نقده الأدبي، ونقده الديني، ونقده الاجتماعي."

ب- ونجده متابعا لحركة الشاعر والمربي الفاضل الدكتور محمد قطبة رحمه الله تعالى فيقول عن مسيرته العلمية والعملية: " لقد عرفت محمد قطبة منذ صباه ومقتبل شبابه وإلى أن وافته المنية، فما عرفت فيه إلا الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والتضحية في أداء الواجب، والعمل الدؤوب الصبور في سبيل الله، مع الحب لإخوانه والعاملين معه، والرفق بهم، والصبر عليهم، والتواضع لهم، لا يقسو على صغير، ولا يستكبر على ضعيف، ولا يشغل نفسه بالتوافه، ولا يتكلم عن أحد بسوء، شغله عيبه عن عيوب الناس. فما وكل إليه عمل إلا اجتهد أن يَرْقَى به، ويصل به إلى أبعد مدى، وأحسن مستوى ممكن، لا يألو في ذلك جهدا، ولا يدخر وقتا ولا وسعا، بل يجهد نفسه إلى حد يلومه عليه من حوله. وهو لا يبالي بما يصيبه في سبيل الله.

لقد ذهب لدراسة الدكتوراه في اللغة الإنجليزية في بريطانيا، واشتغل هناك بالعمل الإسلامي، وبالدعوة الإسلامية بين الطلاب العرب والمسلمين، فأحبه إخوانه، كما أحبهم، واجتمعت كلمتهم على أن يحملوه رئاسة جمعية الطلبة

المسلمين هناك، فنهض بالعبء، وقام بالواجب على الوجه المرضي، بما عــرف عنه من تجرد وحرقة وإخلاص.

وعاد إلى قطر فاشتغل بالتدريس في الجامعة، وكان نعم المــدرس، ونعــم المربي لطلابه وطالباته، وكان نعم الزميل لإخوانه ورفقائه من هيئـــة التــدريس، وكان نعم العون والمساعد للمسئولين في قيادة الجامعة.

واختير ليكون وكيلا مساعدا لوزارة التربية والتعليم، فأعطى الوزارة مــن جهده ووقته، وعقله وقلبه ما لا يعطيه غيره، حتى كان يسهر معظم الليالي يراجع الأوراق، ويدرس المشاكل، وينظر في الطلبات، وعاتبه بعض أهل بيته وإخوانـــه على هذا الجهد الخارق، وطلبوا منه أن يخفف عنه ويرفــق بنفــسه، وأن يؤجــل بعض الأشياء إلى الغد، ويأخذ حظه من النوم حتى يستطيع أن يواصل المــسيرة، فكان جوابه الحاسم لهم: كيف يمكنني أن أنام ملء جفني، وفي هذه الأوراق حقوق يجب أن تدفع، ومظالم يجب أن تُزَال، ومشاكل يجب أن تُحَــل، ولا شــيء فيهــا يحتمل التأجيل. وكأنما كان يتمثل عمر بن عبد العزيز حين نصحه من حولـــه أن يؤجل بعض الأعمال إلى الغد، فقال لهم: لقد أعياني عمل يوم واحــد، فكيــف إذا اجتمع علي عمل يومين؟!".

ج – وقال عن نشأة المفكر المناضل الدكتور أحمد صدقي الــدجاني –رحمـــه الله تعالى: " إنه ابن فلسطين، ابن يافا، ولد في أرضها، ونشأ وترعرع بين ربوعهـــا، واستنشق شذاها، وشاهد بياراتها، وأكل من برتقالهـــا وفواكههـــا، وصـــلى فـــي جوامعها، واستمع إلى الآذان والتكبير من مآذنها، وتعلم فـــي مدرســـة (النهــضة الإسلامية) بها، ورآها تسقط أمام عينيه، وهو ابن الثانية عشرة. وتركها مجبـــورا مقهورا، وعينه تذرف العبرات، وصدره يصعّد الزفرات. رأى الفتى الــصهيونية الغازية، تقتحم عليه مدينته، وتغتصب منه داره، وتسرق مرتع صـــباه، ومهـــوى فؤاده، وملتقى أحبائه، وتشرده وأهله في الآفاق من سنة ١٩٤٨ إلى اليوم. تـــرك منزله في (يافا) الذي لا يزال يحتفظ بمفتاحه داخل منزله بالقاهرة حتـــى اليـــوم،

ليذكر أبناءه وأحفاده بالوطن الملسوب، وكان حريصا على أن يبرزه أمام أعين الإعلاميين، والأصدقاء، كل حين، ليؤكد لهم بأن العودة قضية لا تموت.

وعائلة الدجاني عائلة يافوية معروفة: دينية صوفية. فقد كان جد أحمد صدقي ــ الشيخ محمود ــ قاضيا شرعيا في الدولة العثمانية، وقد مات قبل ولادته بعامين، وهو الذي أوصى أمه إذا جاءها ابن أن تسميه أحمد صدقي. عيّن الشيخ محمود الدجاني قاضيا في ليبيا في أوائل القرن العشرين، قبل الانقلاب على السطان عبد الحميد (١٩٠٨م) وكانت إقامته بين طرابلس وزليطن والخمس، وقد كانت ليبيا كما كانت فلسطين: جزءا من دولة واحدة هي دولة الخلافة العثمانية. وقد غرس هذا في نفسية الطفل أحمد صدقي وحدة بلاد العروبة والإسلام، التي كانت تمثل دولة واحدة يحكمها الخليفة، وكان جده ينتقل بين ربوعها بحرية واطمئنان، وقد أورثه هذا النزعة العروبية الإسلامية، التي لا ترى تعارضا بين الإسلام والعروبة، على غرار ما سبقه به الإصلاحيون العرب في أواخر عهد الدولة العثمانية من أمثال الشيخ رشيد رضا والشيخ طاهر الجزائري، وأمثالهما من دعاة التجديد والإصلاح في ظل الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية التي تجمع العرب والأتراك تحت راية القرآن.

وهذا أيضا ما شده إلى الاهتمام بأمر ليبيا وتاريخها وجهادها، وخصوصا بعد أن تعاقد مع وزارة التربية والتعليم في ليبيا للعمل بها من سنة ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٦٥، وهو يعتبر هذه السنوات من أغنى سنوات عمره وأهمها في تكوينه العلمي. وكان من رواد الدراسات الليبية، وتأليف عدة كتب عنها، منها: كتابه عن (الحركة السنوسية). كما تأثر باستشهاد البطل العربي المسلم عمر المختار الذي لم تلن قناته في جهاد الإيطاليين، حتى أسر وحكموا عليه بالإعدام. وسجل ذلك شعراء مرموقون مثل إبراهيم طوقان من فلسطين، وأحمد شوقي في مصر.

<u>في معمعة النضال الفلسطيني:</u>

كان أحمد صدقي أحد المؤسسين لمنظمة التحرير منذ عهد رئيسها الأول أحمد الشقيري: وقد اتجهت الأنظار إليه ــ وهو في ريعان الشباب ــ لتحمله المسؤولية،

وهي واثقة بأنه أهل لها، فلا غرو أن كان عضوا بالمجلس الوطني الفلسطيني، وعضوا بالمجلس المركزي، وعضوا باللجنة التنفيذية في منظمة التحرير، كما كان رئيسا للمجلس الأعلى للتربية والثقافة والعلوم بها، ولم يتركه إلا منذ سنة ٢٠٠٢م بعد أن ازدادت متاعبه الصحية، رحمه الله. كما مثل فلسطين في مؤتمرات الحوار العربي الأوربي. وقد قدر الرئيس الفلسطيني عطاءه في مجال الفكر والثقافة والنضال، فمنحه وسام فلسطين."

٨ـ الالتزام بكل الحقائق والوقائع التي حدثت بالفعل والولوج في أعماق الشخصية كالغواص الماهر:

أـ فنجده حينما تكلم عن علاقة رائد التنوير الأستاذ أنور الجندي – رحمه الله تعالى – بالإخوان ولماذا لم يعتقل معهم يقول: " كان الأستاذ الجندي من الإخوان المسلمين من قديم، وممن رافق الإمام البنا مبكرا، وممن كتبوا في مجلات الإخوان في الأربعينيات من القرن العشرين، ولكن الله تبارك وتعالى نجاه من كروب المحن التي حاقت بالإخوان قبل ثورة يوليو وما بعدها، فلم يدخل معتقل الطور أيام النقراشي وعبد الهادي، ولم يدخل السجن الحربي أيام عبد الناصر، بل حصل على جائزة الدولة التقديرية في عهده. على حين لم ينلها أحد ممن كانت له صلة بالإخوان.

وربما كانت طبيعته الهادئة، وعمله الصامت، وأدبه الجم، وتواضعه العجيب، وبعده عن النشاط العلني في تنظيم الإخوان: سببا في نجاته من هذه المعتقلات، خصوصا في عهد الثورة.

كتب الأستاذ أنور الجندي في فترة المحنة في عهد عبد الناصر في بعض المجلات غير الإسلامية تراجم لقادة التحرر والثورة من ذوي التوجه الديني، أمثال عمر المختار في ليبيا وعبد الكريم الخطابي في المغرب، وذلك في مجلة (المجتمع العربي) المصرية، في فترة الخمسينيات والستينيات. ويقول عن هذه الفترة: (لقد كان إيماني أن يكون هناك صوت متصل ـ وإن لم يكن مرتفعا بالقدر الكافي ـ

ليقول كلمة الإسلام ولو تحت أي اسم آخر، ولم يكن مطلوبا من أصحاب الدعوات أن يصمتوا جميعا وراء الأسوار)."

ب – وحينما تكلم عن موقفه من العلامة بن عثيمين رحمه الله تعالى نجده يقول: "كما أود أن أنبه على نقطة مهمة في فتاوى الشيخ، وهي أنه لم يكن من المتشددين دائما، كما يظن بعض الناس، بل كثرا ما كان ييسر في فتاواه حتى إنه كان يفتي للطلبة الذين يدرسون في أوربا وأمريكا وغيرها من الأقطار الأجنبية بجواز قصر الصلاة والجمع بين بعضها وبعض، باعتبار أنهم مسافرون وإن طالت مدة الدراسة إلى سنوات.

ومنذ ثماني سنوات منح الشيخ ابن عثيمين جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وأقيم احتفال كبير للذين حصلوا على الجوائز، ولكن الشيخ لم يحضر الاحتفال، ولم يتسلم الجائزة، ولم يلق كلمته بهذه المناسبة، بل أناب عنه من ألقى الكلمة.

وهذا من دلائل تحرره عن المظاهر، وبعده عن طلب الجاه والظهور".

ج – وحينما تكلم عن موقفه من شيخ الأزهر الأسبق العلامة جاد الحق علي جاد الحق نجده واضحا تمام الوضوح فيقول: "أول ما عرفت الشيخ جاد الحق وسمعت به حين عين مفتيا لجمهورية مصر العربية في عهد الرئيس السادات، ولا أنكر أنى لم أكن راضيا عنه في تلك الفترة، لأنه كان أحد المشايخ الثلاثة الكبار الذين اشتركوا في صنع (قانون الأحوال الشخصية) الأخير، الذي كان فيه تجاوزات، أنكرتها وأنكرها كثير من العلماء، وعلي رأسهم: شيخنا الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، وشيخنا الشيخ محمد الغزالي رحم الله الجميع.

ثم عين الشيخ وزيرا للأوقاف، ثم شيخا للأزهر، والحق أن الرجل قدر جلالة المنصب الذي تبوأه من قبله رجال كبار، أمثال المراغي وعبد المجيد سليم والخضر حسين وشلتوت، فلم ينزلق بالأزهر إلى الفتاوى التي زلت فيها أقدام آخرين. وحافظ علي كرامة الأزهر ومجمع بحوثه، الذي يمثل السلطة العليا للفتوى في الشؤون الإسلامية في مصر.

وكان متعاونا مع العاملين في الحقل الإسلامي، واقفا كالصخرة الصماء في وجه العلمانيين والمتغربين الذين يريدون أن يسلخوا الأمة من جلدها، وان يبعدوها عن شريعة ربها، فلم تلن قناته في مواجهاتهم، وتحدي أباطيلهم.

رأينا ذلك بجلاء في موقفه من محاولات (مؤتمر السكان) الذي عقد بالقاهرة فقد رفض باسم الأزهر ما فيه من اتجاه إلى الإباحية الجنسية، وشرعيه الإجهاض، وإباحة الشذوذ للرجال والنساء، وانتزاع حق الآباء في الإشراف علي تربيه أولادهم... الخ.

وكذلك (مؤتمر المرأة) الذي عقد في بكين، فقد شكل لجنه للرد علي وثيقة هذا المؤتمر وشارك النقابات التي عنيت بهذا الأمر مثل نقابة الأطباء، وقد حضرت اجتماعا في (دار الحكمة) في الصيف الماضي حول هذا الموضوع، شارك فيه مندوب شيخ الأزهر، وتكلم كلاما طيبا".

<u>٩ــ كتابة السير والمراثي عند الإمام القرضاوي نسيج محكم تتكامل فيه المعلومات كأنها قطعة قماش واحدة متناسقة:</u>

_أــ فحينما ترجم لشاعر الإنسانية المؤمنة عمر بهاء الدين الأميري؛ وجدناه يحكم الترجمة إحكاما يحيط بكافة جوانب الشخصية فبدأ بكيفية التعرف علي الرجل فقال: "عرفت الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري أول ما عرفته، وأنا طالب في المرحلة الثانوية، عن طريق مجلة (الشهاب) التي كان يصدرها الإمام حسن البنا، ويديرها الداعية المحبوب سعيد رمضان، وذلك سنة ١٩٤٨م... وقد سنت المجلة سنة حسنة: أن تختم كل عدد بما أسمته (سجل التعارف الإسلامي)... وكان من الصور التي نشرت في العدد الثالث: صورة عمر بهاء الدين الأميري، وهو شاب في مقتبل العمر، وكتبت المجلة تحته: المحامي بحلب، ووكيل الدعوة الإسلامية.

ثم ذكرت نبذة عنه في الصفحة المقابلة فقالت: سوري من صفوة أبناء حلب، ولد سنة ١٣٢٩هـ، وقضى بعض عمره المبارك في الدراسة بفرنسا، وتخرج من (الحقوق السورية) سنة ١٩٤٠م، وكان نجاحه منقطع النظير. واشتغل بالمحاماة، مشترطا على موكليه أن يتخلى عن دعاويهم، إذا ظهر وجه الحق في غير جانبها! واشتغل بالحركة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وأسس مركزا للدعوة الإسلامية في باريس، وهو شاعر مطبوع، ومجاهد مؤمن.

هذه السطور الموجزة المضيئة فتحت قلبي الفتي البكر في ذلك الوقت للأميري، صاحب المثل والمبادئ، الذي يتخلى عن قضية موكله إذا تبين له أن الحق مع خصمه، ولا يبالي بما سيخسر من مال في مقابل تنازله عن القضية.

كما أن وصف المجلة له بـ(الشاعر المطبوع) فتح قلبي له أكثر، فقد كنت معنيا بالشعر، مشغولا به في تلك المرحلة من عمري.

ثم بدأ في سرد بعض شعره ونثره ولقاءاتهما مما أضفى على الترجمة روحا إنسانية تتفق مع طبيعة المترجم له رحمه الله تعالى.

ب- وفي ترجمته للعالم الكبير الداعية الفقيه سيد سابق رحمه الله تعالى نجده يقدمه للقراء أولا بأشهر ما يعرفه عنه الناس وهو كتابه القيم فقه السنة وكيف بدأ وما دار حوله من مناقشات ومساجلات فقال:

" أصدر الشيخ سيد الجزء الأول من كتابه الذي سماه (فقه السنة) في أواسط الأربعينات من القرن العشرين الميلادي، أو في سنة ١٣٦٥هـ وهو رسالة صغيرة الحجم، من القطع الصغير، وكان في (فقه الطهارة). وقد صدره بمقدمة من المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ الإمام حسن البنا، تنوه بمنهج الشيخ في الكتابة، وحسن طريقته في عرض الفقه، وتحبيبه إلى الناس" ثم تحدث عن كيفية تعارفهما فقال:

" عرفت فضيلة الشيخ سيد سابق أول ما عرفته قارئا لبعض مقالاته الفقهية في مجلة الإخوان الأسبوعية، ثم للجزء الأول من كتابه في فقه الطهارة، ثم سمعنا أنه

قدم للمحاكمة في قضية مقتل النقراشي باشا، حيث زعموا في ذلك الوقت أنه هو الذي أفتى الشاب القاتل - عبد المجيد حسن - بجواز قتله، عقوبة على حل الإخوان، وكانت الصحف تلقب الشيخ في ذلك الوقت بـ (مفتي الدماء).

والحمد لله، قد برأته المحكمة، وخلت سبيله، ولكنه اعتقل مع من اعتقل من الإخوان في سنة ١٩٤٩م واقتيد إلى معتقل الطور.

وقد عرفت الشيخ وجها لوجه في المعتقل، وفي حذاء رقم (٢) الذي كان إمامه الشيخ الغزالي، رحمه الله، وكان الشيخ سيد يعقد حلقات في الفقه بعد صلاة الفجر وقراءة الأدعية المأثورات، كما كان الشيخ الغزالي يعقد حلقات أخرى في الدعوة إلى الله. ثم عرفته بعد أن خرجنا من المعتقل في ساحة الدعوة إلى الله، وكثير ما زرته في بيته حيث كان يسكن في حارة ضيقة في سوق السلاح، ثم منَّ الله عليه فسكن في شقة بجاردن ستي، أظنها كانت ملكا لبعض اليهود الذين خرجوا من مصر، وذهبوا إلى دولة الكيان الصهيوني.

وقد عملت معه حين كان مديرا لإدارة الثقافة في وزارة الأوقاف، وكان الشيخ الغزالي مديرا للمساجد، وكان الشيخ البهي الخولي مراقبا للشؤون الدينية، وذلك في عهد وزير الأوقاف المعروف الشيخ أحمد حسن الباقوري. وذلك في عهد الثورة."

ثم تحدث عن مسيرة الشيخ في حياته العلمية إلى أن وافته المنية بقوله: " انتقل الشيخ في السنين الأخيرة من عمره إلى (جامعة أم القرى) بمكة المكرمة، سعيدا بمجاورة البيت الحرام، مع نخبة من أجلاء علماء الأزهر، الذين كان لهم دور يذكر ويشكر في ترسيخ جامعة أم القرى ورفع دعائمها، وتعليم أبنائها، وبقي فيها إلى ما قبل سنتين.

وفي سنة ١٤١٣هـ حصل الشيخ على جائزة الملك فيصل في الفقه الإسلامي، وسعدت بمشاركته فيها.

واليوم يودعنا الشيخ، راحلا من دار الفناء إلى دار البقاء، تاركا وراءه علما نافعا، وتلاميذ بررة يدعون له بالمغفرة والرحمة، وذكرا طيبا هو عمر آخر للإنسان بعد عمره القصير.

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

دقات قلب المــرء قائلة لـــه: إن الحيـــاة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

رحم الله شيخنا الشيخ سيد سابق، وتقبله في الصالحين من عباده، وجزاه عن العلم والإسلام والأمة خير ما يجزى العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، وإنا لله وإنــا إليه راجعون.

١٠ــ كتابة السير عند الإمام القرضاوي هي ترمومتر حياة يرصد كل نبض أو حركة لصاحب الترجمة يقيس حرارته ويظهر مدى ما يــشيع منها من دفء:

_ونرى هذا ونحسه حينما تكلم عن:

أ ــ حينما تحدث عن الأستاذ المفكر أحمد صدقي الدجاني –رحمــه الله تعــالى– فقال: "أجل إنه رجل يملك من المواهب والقدرات والفضائل ما يرغمك علـــى أن تحترمه وأن تحبه معا، وقل من الناس من تجمع له بين الحب والاحترام.

إنه رجل يحبه العلماء والباحثون، لأنه عالم بحاثة يحترم نفـــسه، وقـــراءه بفكـــر يجعله العالم الذي يعيش في عصره.

ويحبه الأدباء، لأنه أديب، يكتب بأسلوب الأديب، وبيان الأديب، ولغة الأديب.

ويحبه المناضلون، لأنه مناضل أصيل، لم يهن عزمه، ولم يستسلم كمـــا استـــسلم غيره من المناضلين القدامى.

ويحبه العروبيون لأنه عربي مخلص، يعتز بعروبيته، وبقومه، وبلغته فلا يـتكلم إلا بالعربية الفصحى، ولا تعرف العامية إلى لسانه سبيلا.

ويحبه الإسلاميون، لأنه مسلم مستنير، يحسن الفهم للإسلام، كما يحسن الالتـزام به، والدعوة إليه على بصيرة، والحماس لقضايا أمته."

ب- وحينما تحدث ناعيا المجاهد الشهيد الشيخ أحمد ياسين فقـال: " (مـن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) الأحزاب: ٢٣. صدق الله العظيم.

لقد ودّعت اليوم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وودعت فلسطين كلها: سلطة ومقاومة، بل ودعت الأمة العربية، والأمة الإسلامية: رجلا من رجالاتهـا، والرجال قليل، إنه الشيخ أحمد ياسين، الذي عاش عمره للدعوة والجهـاد، ونـذر حياته للنضال من أجل تحرير وطنه من الاحتلال الصهيوني الغاشم. وأسس حركة (حماس) لتقوم بدورها في الجهاد، وقضى في السجن ما قضى من سنوات وهـو صابر مرابط، لا يهين ولا يستكين، وكان قد حدد غايته بوضوح، وهي: ضـرب الاحتلال ودحره بكل ما يمكن من قوة، وعدم الخروج بهذه العمليات عـن دائـرة فلسطين كلها، وتحريم توجيه السلاح إلى صدر فلسطيني. فالدم الفلسطيني حـرام حرام حرام. وكان هذا الرجل القعيد الأشل يزلزل الكيان الـصهيوني، ويرعـب قادته العسكريين والسياسيين وهو جالس على كرسيه لا يـستطيع أن يفارقـه إلا بمعين.

إن رجولة الرجال لا تقاس بقوة أجسامها، بل بقوة إيمانها وفضائلها. وقـد قال تعالى عن المنافقين: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) المنافقون: ٤.

صدق الله العظيم".

ج- أما في وداعه لشيخه العلامة الغزالي فقد أخرج كل ما لديه من حـب ووفاء ملك عليه وجدانه وأبكى كل من سـمعه أو قـرأه فقـال: " فقـدت الأمـة الإسلامية علم الأعلام، وشيخ الإسلام، وإمام البيان، ورجل القرآن.

أخيرا أغمد قلم كان سيفا على أعداء الله، لم يفل له حد، طالما أرعب الملاحدة والمنافقين، وخرس لسان ظل يجلجل ويدوي خلال ستين عاما، بالدعوة إلى الله، يحشد الناس ألوفا ألوفا في ساحته، ويجمعهم صفوفا صفوفا على دعوته.

مات الشيخ الغزالي، وهو في قلب المعركة لم يلق السلاح، ولم يطو الشراع، بل ظل يصارع الأمواج، ويواجه العواصف التي هبت من يمين وشمال على سفينة الإسلام، تريد أن يبتلعها اليم، وأن تغرقها الرياح الهوج.

فقد نشرت وكالات الأنباء أن الشيخ أصيب بالأزمة القلبية الحادة، وهو يحاضر في ندوة: (الإسلام والغرب) التي عقدت في الرياض. لقد سقط الفارس والسيف مسلط في يده ! واحسبه من (الشهداء) إن شاء الله، فقد مات وهو يدعو ويدافع عن الإسلام، كما مات غريبا".

١١ــ معرفته بأحوال المجتمع والسياق العام الذي كانت تعيش فيه الشخصية:

ونستطيع استجلاء هذا المعلم من قراءتنا لهذه المراثي:

أ ــ حينما تكلم عن مكانة العلامة الشيخ عبد الله بن باز – رحمه الله تعالى – فقال: " وكان الشيخ يرأس إدارات الفتوى والبحوث والدعوة، ويرأس هيئة كبار العلماء ويرأس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ويرأس المجلس العالمي الأعلى للمساجد، ويرأس مجلس المجمع الفقهي للرابطة، وظل سنين رئيسا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان مُقَرَّبا من أولي الأمر في المملكة فكان ذوا مكانة محفوظة عندهم جميعا عن يمين الملك إذا حضر.

ولم تضعه مكانته في برج عاجي أو في صومعة منعزلة، بل ظل بيته مفتوحا، ومكتبة مفتوحا وقلبه مفتوحا لكل ذي حاجة من أبناء المسلمين، مادية أو علمية، ولا يدخر جهده في مساعدة أحد".

ب – وكذلك حينما كتب عن المجتمع والسياق الذي عاش فيه فقيه الأدباء وأديب الفقهاء الشيخ علي الطنطاوي قال: "شارك الشيخ -وهو طالب- في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسوريا، وكان يحرض الطلاب، ويحرك الجماهير، ويسير المظاهرات. ويلهب الحماس بخطبه النارية، وبيانه الساحر. وأصابه في ذلك ما أصابه، حيث أعتقل وأودع السجن.

أيد الشيخ الوحدة الاندماجية مع مصر، مثل كل السوريين، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية شكري القوتلي، الذي تنازل عن رئاسته، ليصبح المواطن العربي الأول في (الجمهورية العربية المتحدة).

ولكن حينما أصبحت الوحدة في عهد عبد الناصر خطرا على الحريات وعلى حقوق الإنسان، وانتشر التجسس، وعاش الناس في رعب من السلطة، وغدا المكتب الثاني (المخابرات) هو الذي يحكم البلد.. وقف ــ مثل جمهور السوريين ــ مع الانفصال، وأيده بقوة، خطب خطبة تاريخية مشهورة، كان لها صداها الواسع، وتأثيرها البالغ على جماهير الناس.

ومن بعد ضياع أول وحدة عربية حقيقية تقع على كاهل الحكم الاستبدادي المتسلط، الذي كان له ــ كما قال القوتلي ــ ألف عين، ولكنه لا يرى، وألف أذن، ولكنه لا يسمع.

دفاع عن الإسلام في مواجهة القومية والاشتراكية:

جند الشيخ طوال عمره قلمه ولسانه للذود عن حياض الإسلام، وحراسة قلاعه من المغيرين عليه، من أعدائه الصرحاء المكشوفين، من الصهاينة والصليبيين، والشيوعيين، وأمثالهم، أم من المقنعين الذين يلبسون لبوس المسلمين، ويتسمون بأسماء المسلمين، وليسوا على شيء من هذا الدين، وهؤلاء هم الأشد خطرا.

حينما ظهرت فتنة (القومية العربية) لتكون يوما بديلا عن الإسلام، وتكون مصدر ولائهم وانتمائهم، بدل الولاء للإسلام، والانتماء للإسلام، وقال من قال: إن

العروبة أسبق من الإسلام ويجب إن تقدم عليه، وأن محمدا لم يكن أكثر من عبقرية عربية، وأن العربي المسيحي أو اليهودي أقرب إلينا من المسلم الباكستاني، وحرف التاريخ ليخدم هذه الأفكار، بل حرفت نصوص الدين ذاتها لتسير في هذا الركب.

حينئذ وقف الشيخ الطنطاوي في وجه هذه الدعوة المضلة، وكشف زيفها وباطلها، وسجل في ذكرياته موقفه من هذه الدعوة، وخصوصا بعد أن ارتبطت بدعوة أخرى، هي دعوة الاشتراكية الثورية.

ومن المعلوم أن القومية ليس لها في نفسها مضمون عقدي أو فكري (أيديولوجي) فيمكن أن تملأ بالفكرة الليبرالية، أو بالفكرة الماركسية، أو بالفكرة الإسلامية، ولكن دعاة القومية العربية في مصر، كدعاة البعث العربي في الشام والعراق: جعلوا مضمون القومية هو الاشتراكية اليسارية، التي ناصبها الشيخ العداء الصريح."

ج – أما حين تكلم عن شيخه المبجل العلامة الغزالي فيقول: " لقد عاش الشيخ الغزالي حياته كلها حر الفكر والضمير، حر القلم واللسان، لم يعبد نفسه لأحد إلا لربه الذي خلقه فسواه، لم يبِع ضميره ولا قلمه لمخلوق كان. وكم حاول أصحاب السلطان أن يشتروه، ولكنهم لم يقدروا علي ثمنه. وكيف يمكن أن يشترى من يريد الله والجنة؟! ولقد لوح له بالمناصب التي يسيل لها لعاب الكثيرين من عبيد الدنيا، ولكن الشيخ لم تلن له قناة، ولم يغره وعد، كما لم يثنه وعيد. لقد كان يتمثل بالشافعي رضي الله عنه وهو يقول:

أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبرا!

همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا!

ومما يذكر للشيخ الغزالي هنا: أنه رفض الخضوع لأهواء العوام، كما رفض الخضوع لسلطة الحكام. وكتب مرة مقالة يقول فيها: أهواء العامة لا تهادن. ولم يحاول أن يزايد بإرضاء الجماهير، علي حساب ما يراه حقا في دينه،

كما يفعل ذلك بعض (الأدعياء) الذين يحسبهم الناس (دعاة). وما أعظم الفرق بين الدعاة والأدعياء ! "

١٢ــ الإسقاط النفسي في ترجمته للأعلام وفي رثائه لهم:

ونعني بهذا أن الإمام القرضاوي في ترجمته لبعض الأعــلام يحــاول أن يبرز من الصفات في الشخصية المترجم لها ما يتمنى أن لو كانت فيه وتحلى بهــا ونرى هذا خاصة حينما تحدث عن:

أــ الشاعر الموهوب عمر بهاء الدين الأميري – رحمه الله تعالى – حينما قال: " لقد جعل الأميري للعرب (إقبالا) كما للهنود (إقبالهم) وأحيا شــعر (الحــب الإلهي) في لغة جزلة عذبة معاصرة، تخاطب الكينونة الإنسانية كلها: عقلا وروحا وعاطفة وضميرا، ولا تخاطب (الإنسان الجسد) وحده، كما يفعل بعض الــشعراء المعاصرين، الذين اختصروا الإنسان في المرأة، واختصروا المرأة فــي الجــسد، واختصروا الحياة في اقتناص اللذات، واتباع الشهوات.

لهذا كان أحب الأوصاف والألقاب إلى شاعرنا: لقــب (شــاعر الإنــسانية المؤمنة). فهو شاعر الإيمان، وشاعر الإنسان."

فالإمام القرضاوي مع سليقته الشعرية المنسابة؛ لكنه تمنى لو استمر فــي قرض الشعر ليجعل للعرب طاغورا كما للهنود طاغورهم.

ب– الشيخ الشهيد أحمد ياسين؛ حينما سرد الدروس المستفادة من استشهاده وفي أول درس قال: " إن استشهاد الشيخ أحمد ياسين بهذه الصورة المروعة، وهو خارج من مسجده بعد أداء صلاة الفجر، ومعه ثمانية آخرون استشهدوا، وآخرون جُرحوا، إن هذا الحادث الجلل ليحمل إلينا وإلى الأمة دروسا يجب أن نعيها:

تحقق أمنية الشهادة:

١ــ أولها: أن الرجل باستشهاده قد حقق أمنية كان يطلبها لنفسه من ربــه، كما يطلبها كل مجاهد مخلص: أن تختم حياته بالشهادة، وهل هناك ختــام أغلــى وأعظم من هذا الختام؟

سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول: اللهم آتني أفضل ما آتيت عبادك الصالحين! فقال له: "إذن يعقر جوادك، ويهراق دمك، وتستشهد في سبيل الله تعالى!" رواه الحاكم.

فهذا أفضل ما يؤتيه الله عباده الصالحين.

ولو كان أحمد ياسين ينشد السلامة، ويحرص على الحياة، لاستطاع أن يتجنب الصلاة في المساجد، ولا سيما صلاة الفجر، وأن يغير مكانه من بيت إلى بيت، ولكنه أصر على أن يؤدي الصلوات في الجماعة، فجاء مقتله بعد أن أدى فرضه، وأرضى ربه، ولقيه متوضئا مصليا راكعا ساجدا، راضيا مرضيا. وقد قال تعالى: (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم. سيهديهم ويصلح بالهم. ويدخلهم الجنة عرفها لهم) محمد: ٤-٦. وإنا لنتمنى وندعو ربنا أن يختم لنا بما ختمه لأحمد ياسين."

ولا يزال الإمام القرضاوي يتمنى أن يقتل شهيدا في سبيل الله ونحسبه بإذن الله في عداد المجاهدين في سبيل الله ونسأل الله لنا وله حسن الخاتمة والفوز بمنزلة الشهادة التي يتمناها كل مؤمن غيور على دينه.

ج – رجل المواقف والدعوة والفضائل عبد الله علي المطوع أبو بدر – رحمه الله تعالى؛ فنراه حينما نعاه للأمة قال فيه: " هناك مَن يموت فيترك فراغا هائلا بموته، تبكي عليه الأعين، وتأسى له الأفئدة، وتهتف له الألسنة بالترحُّم عليه.

وهذا ما نحسُّ به اليوم، حين رحل عن عالمنا رجل الدعوة والخير والإصلاح، رجل المواقف والفضائل: إنه أبو بدر عبد الله علي المطوع: الذي غادر دنيانا صبيحة الأحد ١٠ شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ٣ سبتمبر ٢٠٠٦م، عن ثمانين عاما حافلة بصالح الأعمال.

وهكذا غاض النبع الفياض الذي طالما ظلَّ يتدفق بالخير والبذل والعطاء نحو ستين عاما، يبذل من نفسه ووقته وجهده وماله في سبيل قضايا الإسلام وأمته، ومطالب دعوته، ونصرة شريعته، وتوحيد أمته، وإحياء حضارته.

وانطفأت الشعلة المُتَّقدة التي ظلت متوهجة، ترسل أشعتها نورا ونارا: نورا لطالبي الهداية، ونارا على دعاة الغواية.

ونفد زيت السراج الذي ظل يبعث نوره ليضيء الطريق للحائرين.

إنه أبو بدر رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، ورئيس مجلس إدارة مجلة (المجتمع) المعروفة بمواقفها الشجاعة، وصراحتها في نصرة الحق، ومقارعة الباطل.

إنه القاسم المشترك وراء كل عمل خير يسعى لمعونة أولي الفقر والحاجة من المسلمين، أو لسدِّ الثغرات التي يحتاج إلى سدِّها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، فهو أبو الفقراء، وملاذ أصحاب المشروعات الإسلامية والإنسانية."

فالإمام القرضاوي تمنى لو كان مكان الشيخ أبو بدر رحمه الله في فيضه وكرمه وجوده وحب الناس له وهو أهل لذلك.

١٣ ــ البعد عن ترديد أخبار قد تشكك أو تنال من صاحب الترجمة دون دليل أو برهان:

أـ ونرى هذا جليا حينما تكلم عن الأستاذ أنور الجندي – رحمه الله تعالى – فيقول موضحا: " كان الأستاذ أنور الجندي يميل في كتاباته إلى التسهيل والتبسيط، وتقريب الثقافة العامة لجمهور المتعلمين، دون تقعر أو تفيهق أو جنوح إلى الإغراب والتعقيد، فكان أسلوبه سهلا واضحا مشرقا. وكان الأستاذ الجندي لا يميل إلى التحقيق والتوثيق العلمي، فلم تكن هذه مهمته، ولم يكن هذا شأنه، ولذلك لا ينبغي أن يؤخذ عليه أنه لا يذكر مراجع ما ينقله من معلومات، ولا يوثقها أدنى توثيق، فإنه لم يلتزم بذلك ولم يدّعه. وكل إنسان يحاسب على المنهج الذي ارتضاه لنفسه، هل وفى به وأعطاه حقه أو لا؟

أما لماذا لم يأخذ بالمنهج العلمي؟ ألعجز منه أو لكسل، أو لرؤية خاصة تبناها وسار على نهجها؟

يبدو أن هذا الاحتمال الأخير هو الأقرب، وذلك أنه لم يكن يكتب للعلماء والمتخصصين، بل كان أكثر ما يكتبه للشباب، حتى إنه حين كتب موسوعته الإسلامية التي سماها (معلمة الإسلام) وجمع فيها ٩٩ مصطلحا في مختلف أبواب الثقافة والحضارة والعلوم والفنون والآداب والشرائع، جعل عنوان مقدمة هذه المعلمة: (إلى شباب الإسلام) وقال في بدايتها: الحديث في هذه المعلمة موجه إلى شباب الإسلام والعرب، فهم عدة الوطن الكبير، وجيل الغد الحافل بمسؤولياته وتبعاته، وهم الذين سوف يحملون أمانة الدفاع عن هذه العقيدة في مواجهة الأخطار التي تحيط بها من كل جانب، فمن حقهم على جيلنا أن يقدم لهم خلاصة ما وصل إليه من فكر وتجربة.. وأن نعيد لهم الطريق إلى الغاية المرتجاة... هذه مسؤوليتنا إزاءهم، فإذا لم نقم بها كنا آثمين، وكان علينا تبعة التقصير. ا.هـ.

وأعتقد أن كتبه قد آتت أكلها في تثقيف الشباب المسلم، وتحصينهم من الهجمات الثقافية الغربية المادية والعلمانية، التي لا ترضى إلا بأن تقتلعهم من جذورهم وأصالتهم."

ب- ونراه يوضح موقف العلامة الغزالي رحمه الله تعالى فيقول: " لقد صدع الشيخ الغزالي بما يرى انه الحق، ولا يسع عالما يخشى الله ألا يفعل ذلك، مادام من (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله).

ربما كان في عباراته-في أحيان قليلة- بعض الحدة، وما ذلك إلا أثر من آثار الحرارة التي تتوقد في صدره، فهو لا يطيق العوج، لا من المسلمين ولا من غيرهم، فإذا رأى عوجا تأجج قلبه نارا، تظهر علي ثمرات قلمه ولسانه."

ج- ونجده يقول عن العلامة المفسر الشيخ محمد متولي الشعراوي – رحمه الله تعالى -: " كان للشيخ نزعته الروحية الصوفية الظاهرة، وهناك من يعادون التصوف. وكان للشيخ آراء معينة في الفقه وفي غيره لا يوافقه عليها الآخرون، مثل رأيه في زراعة الأعضاء فكان لا يوافق على ذلك. وكان الشيخ مسالما لا يرضى بمواجهة الحكام ويأخذ الأمور بالأناة والتدرج وهناك أناس يريدون أن يأخذوا كل شيء بالقوة وبالمواجهة فلابد أن يخالفوا الشيخ رحمه الله.

ولكن مهما اختلف الناس مع الشيخ الشعراوي فلا يمكن أن يختلفوا في قيمته وفي قدره وفي دوره في الدعوة إلى الله وإلى الإسلام وإلى مخاطبة الناس بلغة عصرهم وباللغة التي يفهمونها. وصدق الله العظيم إذ يقول (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) ومما اغضب الناس على الشيخ الشعراوي تلك الفترة التي ولي فيها وزارة الأوقاف وكما قال الشاعر قديما "إن نصف الناس أعداء من ولي الأحكام" هذا إن عدل والناس حساسون في هذه القضايا خصوصا في عصرنا الذي استبد فيه المستبدون فمن عمل مع هؤلاء حمل معهم أوزارهم. ولكن لا نستطيع أن نقول إلا أن الشيخ الشعراوي كان أحد الدعاة والهداة لهذه الأمة. "

١٤ ــ لا يضع نفسه في منزلة القاضي المصدر للأحكام أو في منزلة المحامي المدافع:

أ ــ فنراه يبين موقفه من العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى في نعيه له بقوله: " وكان رحمه الله من كبار علماء المملكة العربية السعودية، وكان له دوره في الإفتاء والتعليم والدعوة والإرشاد، وكان منهجه ــ رحمه الله ــ اتباع الدليل من الكتاب والسنة، وفقا لمنهج السلف الصالح، سواء في أمور العقيدة، أم في أمور الشريعة، ولم يكن يبال أوافق رأيه أهواء الناس أم خالفهم، ولمن يكن يعبأ بمخالفة أحد من العلماء، إذا لاح له دليل على صحة رأيه.

كما أود أن أنبه على نقطة مهمة في فتاوى الشيخ، وهي أنه لم يكن من المتشددين دائما، كما يظن بعض الناس، بل كثرا ما كان ييسر في فتاواه حتى إنه كان يفتي للطلبة الذين يدرسون في أوربا وأمريكا وغيرها من الأقطار الأجنبية بجواز قصر الصلاة والجمع بين بعضها وبعض، باعتبار أنهم مسافرون وإن طالت مدة الدراسة إلى سنوات.

ومنذ ثماني سنوات منح الشيخ ابن عثيمين جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وأقيم احتفال كبير للذين حصلوا على الجوائز، ولكن الشيخ لم

يحضر الاحتفال، ولم يتسلم الجائزة، ولم يلق كلمته بهذه المناسبة، بل أناب عنه من ألقى الكلمة.

وهذا من دلائل تحرره عن المظاهر، وبعده عن طلب الجاه والظهور".

ب- كما نجده في موطن آخر من رثاءاته يقول عن موقف أديب الفقهاء وفقيه الأدباء الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله تعالى – من الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى -: " كانت فتنة القومية، وتعبنا في جدال هؤلاء القوميين، نتبع في ذلك الأمير شكيبًا وإخوانه (شكيب أرسلان) ويتبعنا من جاء بعدنا، كتبت في ذلك عشرات من الصفحات، وألقيت في ذلك عشرات (عشرات حقًا) من الخطب والمحاضرات، لنبين للناس أننا لا نعادي العربية، وإنما ندافع عن الإسلام، وأننا نعرف للعروبة قدرها، ولكن تحت راية الإسلام.
ثم كانت فتنة الاشتراكية، وخدع ناس من أفاضلنا، فقالوا: (اشتراكية الإسلام) ألف في ذلك صديقنا الداعية إلى الله الرجل الصالح الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله. ولقد حضرت محاضرته في الجامعة السورية عن هذه الاشتراكية التي سماها إسلامية، على ندرة ما أحضر من المحاضرات، وكان إلى جنبي في الصف الأول أخي ورفيقي في كلية الحقوق وأحد أصدقاء عمري، الشيخ مصطفى الزرقاء، فكنت أعترض أخانا الشيخ السباعي كلما اختار حكمًا فقهيًا ضعيفًا يراه أقرب إلى الاشتراكية، وأقاطعه وأنا في مكاني، وكان بيني وبينه مناقشة بعد ذلك في الصحف، قلت له فيها، وقال لي وأنا أشهد له وقد مضى إلى لقاء ربه، أنه ما أراد بما كتب إلا الخير، وأن يقرب الاشتراكيين إلى الإسلام، والشيخ السباعي أمتن دينًا، وأكثر علمًا، من أن يكتب أو يقول ما يخالف الإسلام، ولكن الاشتراكيين كانوا أوسع حيلة، وأقوى أداة، وأكثر وسائل، فاتخذوا كتابه ذريعة لتقريب المسلمين من الاشتراكية، وما أراد إلا أن يقرب الاشتراكيين إلى الإسلام.أ.هـ.
وقد أخالف الشيخ الطنطاوي في موقفه من الشيخ السباعي، وأرى أن كتابه لا يؤخذ عليه إلا الاسم، أما مضمونه فهو اجتهادات، تنبع من صميم الفقه الإسلامي.

وإن كنت أوافق الشيخ الطنطاوي في استغلال الاشتراكية الناصرية للكتاب التـــي طبعت ووزعت منه عشرات الألوف."

ج ــ ونجده يصف الشيخ العلامة الغيور عبد الله الأنصاري – رحمه الله تعالى – بقوله: " عرفته سلفي العقيدة ولكن لم يكن فيه خشونة السلفيين ولا حـــرفيتهم ولا نظرتهم السوداء إلى غيرهم، ولا حملتهم الشعواء علي من خالفهم.
لم يجد بأسا في الاحتفال بمولد الرسول الكريم – صلي الله عليه وسلم – بالحديث عن السيرة النبوية، والرسالة المحمدية، وقد شاركته في بعض ذلك بعض المرات مبينا في كلمتي مبررات مثل هذا الاحتفال بهذه الصورة، في عصر اصبح الناس، يحتفلون فيه بميلاد زعمائهم وكبرائهم، وذكرت أن هذا في الحقيقة احتفال بمولـــد الرسالة، لا بمولد الرسول، وقد اعترض العلامة الشيخ / عبـــد الله بـــن زيـــد آل محمود – رئيس المحاكم الشرعية في قطر –على هذا الاحتفال، وكانت بينه وبين الشيخ الأنصاري مساجلة علمية رصينة، دلت علي مبلغ علم النصارى وتمكنـــه، وهي مساجلة قيمة ينبغي أن تراجع.
وعرفت الشيخ شافعي المذهب، ولكنه لم يكن متعصبا لمذهبه، ولا يكاد يعرف أحد له مذهبا، فهو يحب الأئمة جميعا، ويقدرهم جميعا، ويحترم المذاهب كلها، ويأخـــذ منها ما ترجح دليله لديه، ولا يمنع العامة من تقليد أي مذهب رضـــوه منهـــا، ولا يطعن في أحد من العلماء الأموات، أو الأحياء، بل كان عف اللسان، ولا يحب أن يذكر أحد بسوء، وطريقته أن يضيء الشموع ولا يلعن الظلام."

<u>١٥ــ إحساسه بمدى حاجة الناس الدائمة لاستجلاء الكثير من الأمور المبهمة وكشف المخبوء والمستور عن الشخصيات التي يستحق الكتابة عنها بالفعل:</u>

أــ فنجده يتناول بعض ما خفي عن بعض عيون الناس في شخصية رجل الفكر والنضال أحمد صدقي الدجاني ومدى العلاقة بينه وبين ابنه عبـــد الـــرحمن

يوسف القرضاوي فقال: " ومن خلال زياراته ولقاءاته بي: تعـرف عليـه ابنـي الشاعر الأديب عبد الرحمن فأعجب به، ودعاه إلى زيارته، فانعقدت بينهما مـودة وثيقة، وصلة عميقة، استمرت سنين، في لقاء وتفاهم وحوار، يسمعه عبد الرحمن من شعره ما لا يقوله للآخرين، من شعر السياسة، أو شعر الغزل، الذي عبر عنه عبد الرحمن بأن نصف شعره: يدخل السجن، والنصف الآخـر يـدخل النـار!! ويحاوره في قضايا الدين وقضايا الثقافة، وقضايا السياسة، بحرية وصراحة.

وقد قال لي الدكتور الدجاني في لقاء قريب: إن عبد الرحمن: كنز ثمين لم يستفد منه بعد!

وقد أهدى عبد الرحمن إليه ديوانه الثاني (أمام المرآة) وقال في إهدائه:

إلى أستاذي ووالدي وصديقي، الدكتور أحمد صـدقي الـدجاني أطـال الله عمره، ثمرة سنوات من اللقاءات الطويلة.حوار بين جيلين!

ب – وقال واصفا راهب الفكر والثقافة الأستاذ أنور الجنـدي رحمـه الله تعالى: " كان رجلا ربانيا. ومن دلائل ربانيته ما ذكرته ابنته عنه أنه كان يحب أن يكون متوضئا دائما، فيأكل وهو متوضئ، ويكتب وهو متوضئ. وكان ينـام بعـد العشاء ثم يستيقظ قبل الفجر ليصلي التهجد، ويصلي الفجر، ثم ينام سـاعتين بعـد الفجر، ويقوم ليقضي بعض حاجات البيت بنفسه.

وكان يخدم الجيران، ويملأ لهم (جرادل) الماء إذا انقطع الماء، ويـضعها أمام شققهم.

كان للأستاذ أنور الجندي من اسمه نـصيب أي نـصيب، فكانـت حياتـه وعطاؤه وإنتاجه تدور حول محورين: النور ــ أو التنوير ــ والجندية."

ج – ونبه الناس لسبق فكر الأستاذ عبد الحليم أبو شقة لعصره فقال: " ومن هذه الأفكار أن شمول الفكرة لا يستلزم شـمول الحركـة، وأن الخيـر للحركـة الإسلامية أن تتفرغ للعمل الدعوي والتربوي وتحسنه، وتعمل على إنشاء الجيـل المؤمن المنشود حقا، وأن يقوم بالسياسة حزب ولاؤه للإسلام، تؤيـده الحركـة،

ولكنها ليست مسؤولة عنه، فإن للسياسة رجالها، وللدعوة والتربية رجالها، وكل ميسر لما خلق الله.

المهم أن الرجل كان رجل إصلاح وبناء، وكان عقله ولودا، يلد الإفكار الإيجابية البناءة، وكان عنده الإرادة والصبر والمتابعة ما يجعله يجتهد في نقل الأفكار إلى أعمال.

وكان لا يسمع بفكرة جيدة إلا شجع صاحبها، ولا يقرأ مقالة أصيلة في مجلة، إلا كتب لصاحبها، يشد على يديه، وربما ذهب لزيارته في بيته وهنأه على مقالته، وسأله المزيد والاستمرار في هذا الاتجاه.

ولا يسمع بشاب نابه ذي فكر ورأي، إلا فتح له بيته ومكتبته، وفتح له صدره وقلبه، وقد يساعده ماديا إن احتاج إلى مساعدة، دون من ولا أذى، بل دون أن يعلم أحد".

الخاتمـــة

وفي النهاية أجد نفسي لم أوف حق الإمام القرضاوي في التعريف بمنهجـــه فـــي التأريخ والترجمة للعلماء الربانيين؛ ولكنه جهد المقل وضغط الوقت؛ ولا شك أننا نجد أن الكثير ممن يستحقون إلقاء الضوء علي سيرتهم هم بالطبع قد لحـــق بهـــم الغبن واكتنفتهم ظلام الجهل؛ فعمت الفوضى لنجد الأصاغر ومرضى الـــشهرة لا يألون جهدا في سبيل إظهار وإبراز أدوارهم الضئيلة في وقت لا يستحقون حتـــى ثمن الحبر المراق على صفحات لها أغلفة صقيلة، وللأسف يجدون مـــن يلقـــون عليهم بالأضواء المبهرة لتتجلي أمامنا حقيقة أن زامر الحي لا يطرب فـــي هـــذا الزمن؛ لأن الذين يستحقون بالفعل أن يقتدي الناس بهم نجدهم قد تواروا بعـــد أن زادت سطوة رأس المال، بل وكاد أن ينساهم التاريخ لأنهم سقطوا من جعبته فلـــم يكونوا مثلا من الصفوة أو أصحاب النفوذ أو السطوة، فيجب على من يتـــصدون لكتابة السيرة أن يكشفوا النقاب عنهم للأجيال المتعطشة، وألا يزيدوا مـــن إلحـــاق الضرر بهم بالنسيان والغفلة عن مجرد التنوير عليهم لئلا يظلموا أكثر.

ولعلنا على الدوام في مسيس الحاجة لإلقاء الضوء على شخصيات نراها نبعـــا لا يغيض الماء فيه، وأن تكون منهلا له معين صافٍ لأجيال متعطـــشة تقتـــدي بهـــم ليرووا ظمأهم بدلا من الصور العشوائية الهزلية التي ترصـــد لهـــا الميزانيـــات بتشويق مبتذل سرعان ما يهمله التاريخ، وتدوسه سنابك الزمن؛ فهـــي كالأمطـــار الحمضية تضر أكثر مما تنفع فلا هي تروي عطشا ولا تحقق مأربا.

والله ولي التوفيق

الفهرس